التي تمثل لنا بكل دقة حياة المستفقهين في اواخر القرن الخامس للمسيح

ومما افادنا كتبة ذلك العهد ان مدارس بيروت ما كانت مقتصرة على علم الفقه بل كان الاحداث يعكفون ايضاً فيها على العلوم الادبية بفروعها كاللغة والادب والفلسفة. الّا انّ شهرتها في الفقه كان يُضرَب بها المثل في العالم الروماني باجمعه. وبقيت مدارس بيروت زاهيةً عامرةً الى اواسط القرن السادس حيث نُكبت بالزلازل وكوارث الدهر كما سترى

(لها بقيّة)

الاداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿ابرهيم بك المُوَيلحي﴾ في هذه الحقبة الاولى من القرن العشرين وقعت ايضاً وفاة احد اعيان المصريين الذين احرزوا لهم ذكرًا في عالم الادب نعني به ابرهيم المويلحي المولود في مصر سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦ م) والمتوفى سنة ١٣٢٢هـ (٢٩ كـ٢ ١٩٠٦ م) تقلّب في عدّة اعمال وغلب عليه الادب والسياسة فخدم وطنهُ مصر في ايّام الخديو اسماعيل باشا ورافقهُ بعد استقالتهِ الى اوربّة فكان امين اسرارهِ وسكن مدّةً باريس ونابولي معهُ ثمّ تردّد مرارًا الى الاستانة فحظي بالنعم السلطانيّة والرتب عند عبد الحميد. وانشأ عدّة جرائد مثل الخلافة في نابولي والرجاء في باريس ونزهة الافكار ومصباح الشرق في القاهرة ولهُ عدّة مقالات في الصحف العربيّة غيرها. وكان لم يستقرّ على خطّة مع كونهِ شديد الذكاء بليغ الانشاء كثير التفنّن مُرّ الانتقاد وهو منشئ جمعيّة المعارف لنشر الكتب المفيدة. ومن آثارهِ كتابهُ الشهير «ما هنالك» وصف فيهِ اسرار يلدز وسياسة السلطان عبد الحميد ولهُ شعر قليل وانشاؤهُ اقرب

الى الانشاء العصري لا تصنُّع فيه كمن سبقهُ . وانما يزينهُ بالنُّكت البديعة والمعاني المستطرفة . ومما وقفنا لهُ من قلمهِ ما كتب في «الانشاء والعصر» وهو كلام طويل ينتقد فيهِ خمول المصريين بصناعة الانشاء مع تزايُد المطابع وانتشار التعليم وكثرة المدارس ويبحث عن اسباب انحطاطها فقال في ذلك:

«انما السبب عند جمهور الباحثين هو سوء طريقة التعليم والتلقين للعلوم العربيَّة بين طلبة المدارس وضعف العناية في اختيار الكتب النافعة للتدريس. وليس هذا في نظرنا السبب الوحيد لما نشاهدهُ من التأخُّر والانحطاط في صناعة الانشاء والتحرير وقلَّة العاملين فيها فذلك مهما جَتْ بهِ من التحسين والتعديل لطريقة التعليم لا ينفع في ملكة الانشاء في أذهان التلاميذ التي عليها المعوَّل في حسن الصناعة لانَّ المدَّة لدرس اللغة العربيَّة في المدارس لا تكفي لغير الحصول على اصول اللغة وقواعدها ولا تفيد لتكوين الملَكة لشيء صالح. ولا يخفى عن علمك انَّ الطالب يتجرَّع هذه القواعد والاصول في الدرس ولا يكاد يُسيغها ولا يتناولها الَّا كما يتناول المحموم مرَّ الدواء ولا تمكث في صدرهِ الَّا وبالهُ يحجُّها عند اخذ الشهادة . . .

«على مثل هذا يخرج المتخرِّجون في المدارس سواء الفائز منهم بالشهادة والخائب فيها ثمَّ ينصرف كل واحد منهم الى الاشغال التي تليهِ عن كلّ صحيفة وكتاب ولا يجد امامهُ مجالاً لتمرُّن ملكة الكتابة . . . اذا اتاح الله الدخول في خدمة الحكومة فقُلْ يا ضيعة العلم والادب ويا بؤس صناعة الانشاء والتحرير ويا زوال مدنة الافصاح والا حرا ! اذ يتلقَّى هناك لساناً جديداً ولغةً حديثة لا تُجدي فيها الى قاعدة ولا ترتبط برابطة ولا تتنزل امة البرارة . . . ولو انهُ ذهل يوماً وجاء في بعض عمله بجملة صحيحة وعبارة مستقيمة في اللغة وانحرف عن ذلك اللسان المصطلح عليهِ شيئاً قليلاً لأصبح عرضةً للتهكُّم عليهِ والاستهزاء بهِ بين العمَّال فيعمد الى التوبة من الذنب . . . ويأخذ بلسانهِ فيأمن من مكرهم . . .

«ومن سوء الحظ لم تلتفت الجرائد السيَّارة الى اتقان صناعة التحرير ولم تعمل لهذا المقصد النبيل ولم ترَ ادباءها ان يُتعبوا انفسهم ويكدُّوا خواطرهم التفنُّن في بلاغة القول وفصاحة التعبير وانتقاء الالفاظ وتنويع التركيب وتجديد الاسلوب وما شابه ذلك من محاسن هذه الصناعة التي تتوق للنفس وتطرب اليها القلوب . . . فينبغ فيهم النوابغ من الفصحاء والبلغاء ويكثر بيننا عديد الكتَّاب والادباء . . . وفاتهم انَّ الواجب على الكتَّاب المجيدين الذين يضمون أنفسهم امام القارئ في موضع الهادي والمرشد ومقام المربي والمعلم ان يرتفعوا بذهن القارئ الى درجة اذهانهم لا أنهم ينزلون بافكارهم الى درجة افكارهِ . . .»

ومن فُصولهِ الحسنة ذكرهُ في كتابهِ «ما هنالك» (ص ١٣٠–١٣٢) لموكب السلطان عبد الحميد في الاستانة يوم الجمعة (السلاملك) تلك حفلةٌ حضرناها مرَّة فأحسن المويلحي بوصفها قال :

« واذا صدرت الارادة السنيَّة بتعيين مسجد صلاتهِ اجتمعت العساكر في ساحة المسجد امام باب السراي واصطفَّت صفوفاً مضاعفةً بعضُها وراء بعض. وفي هذه الاثناء تتسابق مركبات المُشيرين والوزراء والمشائخ والاجانب من السفراء وغيرهم فيجلس السفراء ومن كان معهم من علية قومهم الوافدين على الاستانة في قاعة الجيب الهمايوني المظلَّة على تلك الساحة التي لا يسع السامع فيها قيلًا ولا صهيلًا الَّا صليل الاسياف وترديد الانفاس هيبةً واجلالًا وانتظارًا واستبشارًا لإشراق نور الحضرة السلطانيَّة. فاذا حان وقت الصلاة اشرقت المركبة السلطانيَّة المذهَّبة كالشمس ضياء من مطلع السراي تحمل الإمام نائب الرسول صلعم ويجلس امامهُ القاري عثمان باشا. والمشيرون وكبار رجال المابين حافُّون من حول المركبة مشاةً خُشَّع الابصار ترهقهم ذلَّةٌ من جلال تلك العظَمة الإلهيَّة وهم في غير هذه الساعة اكاسرةُ الزمان وقياصرة الرومان كبرًا وجبروتًا وكلهم في امواج الملابس الذهبيَّة يَسْبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار وتأخذ الالباب حتى انَّ الناظر ليكاد يوالي الحمد لله تباعًا على ما منحهُ للدولة من عديد الرجال الصادقين في خدمة الملَّة بشهادة الكلمات الناطقة فوق النياشين. . . فاذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكنون في الثاب كانت كبائر يغشُّ الناس بوضعهِ على زجاجة الحالّ عنوان ماء الورد. . . ثمَّ تسير المركبة بالعزّ والاجلال والسعادة والاقبال تحسدها الكواكب وتحفظها المواكب . . ثمَّ يصعد السلطان الى المكان المخصَّص لصلاتهِ فيصلّي فيهِ وحدهُ وصفوف العساكر العثمانيَّة واقفون في تلك الساحة ينتظرون تشريف جلالتهِ للسراي بعد تأدية الصلاة. . »

ومن أدباء المسلمين ايضاً المتوفَّين في اوائل القرن العشرين بعض الذين تركوا آثارًا قليلة من اقلامهم ﴿كوفاء افندي محمَّد﴾ المتوفَّى سنة ١٣١٩ (وقيل ١٣٢٢) (١٩٠١—١٩٠٤) كان امين المكتبة الخديويَّة دونك مثالًا من رسائلهِ يهنئ بعض السادة بالعيد :

« كيف أهنئك وحدي وانك العالَمُ في واحد. لقد اطلقت الالسن بهنئتك حيث اجمعت القلوب على محبَّتك. وقد وافانا يوم العيد الاكبر فالناسُ بين مهلِّل ومكبِّر. وهذا الربيعُ قد احتفلَ بسُنن طالعك السعيد فنشر على الرُّبى مطارفهُ السندسيَّة ورفع أعلامهُ الزَّبرجديَّة. وبعث برسول النسيم الى الروض فتتلقَّاهُ بوجهٍ وسيم وثغر بسيم ونثر من الزهر النضير دراهم ودنانير ورقصت الغصون فغنَّت الطيور فوق الافنان بفنون الالحان فهكذا تكون اشارات التهانئ وان لم تفِ بوصفها الالفاظ والمعاني واليكَ بعد أولاك رقعةً تصافحُ السماء وولاك رتبةً لا تُدانيها الجوزاء انَّ صحيح الفهم في دارك عُلاك لَعليل وإنَّ اللسنَ وان شحذَ اللسان في وصف مجدك لَكليل والسلام»

ومنهم ﴿مصطفى بك نجيب﴾ المتوفَّى سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢) وكان رئيس قلم

بنظارة الداخليَّة وهو احد الادباء الفضلاء الذين اشتهروا بفصاحة القلم ونشر المواعظ وجليل الحكم فمن قولهِ نبذة وصف فيها الفونغراف قال :

« الفونغراف مثال القوَّة الناطقة ، من غير ارادة سابقة ، يلتقط الالفاظ التقاطاً ، ويخطف الصوتَ اختطافاً ، . . أشدّ من الصَّدى في فعلهِ ، في اعادة الصوت على أصلهِ ، كأنهُ الوَتَر من يد الضارب ، والقَصَب عن فم القاصب ، يحفظُ الكلام ولا يبيدهُ ، ومتى استعدْتَهُ منهُ يُبدهُ ، كأنَّما حفظُ الوديعة ، في نفسِ طبيعة ، فلو تقدَّمَ لهُ الوجود في مرتبة الزمن لأَسْمَعْنا كلام اليد المسيح في المهد ، وصوت ألعازرَ من اللَّحْد ، وكانت استودَعَتْه الفلاسفةُ حكمتَهم ، وأنشدوهُ كلمتهم ، فرأينا بهِ غرائب اليونان ، وبدائع الرومان . . . نديمٌ ليس فيهِ هفوةُ الندم ، وسَمير لا يُذْهب اليهِ تقصير ، تُمكنُهُ وتستعيدهُ ، وتدنُهُ وتستجيدهُ ، وتَنتُصهُ وتستزيدهُ ، وهو في كلّ هذهِ الاحوال ، راضٍ بما يقال ، لا يكلُّ من تحديث ، ولا يَمَلُّ من حديث ، تمَّامٌ كما يتمُّ لك يتمُّ عليك ، وينقل لغيرك كما ينقل اليك ، فهو المتكلم بكل لغة المحدّث عن كل انسان ، المؤرخ لكل زمان ، الشاعر الناثر المنثي العازف ، لا تعجزهُ العبارة ولا يُجهدهُ الأداء ، ولا يضرُّهُ اختلاف شكل ، ولا تباينُ اصل ، بل تعدَّت شدَّةُ حفظهِ البشريَّة من اللغات ، الى حفظ اصوات الجمادات ، الى تركة اصطكاك الجلمادات

(٢) عائشة التيمورية هي احدى النساء السوريات اللواتي تفرَّدن في الآداب في اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين فتوفيت في صفر من السنة ١٣٢٠ (ايار ١٩٠٢) وكان مولدها في القاهرة سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠م) ووالدها اسمعيل باشا تيمور وامُّها جركسيَّة . أحبَّت منذ صغرها العلم والادب وبعد ان اقترنت بالزواج ثمَّ ترمَّلت انصرفت الى الآداب وبرعت بنظم الشعر في اللغات الثلث العربيَّة والتركيَّة والفارسيَّة . وقد طُبع ديوانها العربيّ المسمَّى حلية الطراز فأثنى عليهِ الادباء طيّب الثناء وشفعتهُ بكتاب نتائج الاحوال فاقبل عليهِ العلماء ايضاً واطرأوا صاحبتهُ . ومنهم قرَّظ كتاب حلية الطراز وردة كريمة الشيخ ناصيف اليازجي فقالت :

حبَّذا حليةُ الطراز أنتَ من مصرَ تزهو بالدرّ المنظوم
حليةٌ للعقول لا حليةُ الوَشْي وكرُّ المطوق والمغوم
انشأتهُ كريمةٌ من ذرات م المجد والفخر فرعُ اصلٍ كريم
قد اعاد الزمانُ عائشةً فيها فعاشت آثارُ علمٍ قديم
هي فخرُ النساء بل وردةٌ في جيدِ ذا العصر زُيِّنتْ بالعلوم
فأدام المولى لها كلّ عزّ ما بدا الصبحُ بعد ليلٍ بهيم

وقالت في تقريظ نتائج الاحوال :

هذا الكتابُ الذي هام الفؤادُ بهِ يا ليتَني قلمٌ في كفِّ كاتبهِ

ودونك امثلةً من شعر عائشة تيمور قالت في الفخر :

يد العفافِ أصونُ عزَّ حجابي وبصحتي أسمو على أترابي
وبفكرةٍ وقّادةٍ وقريحةٍ نقّادةٍ قد كُمِّلتْ آدابي
فجعلتُ بِرْآتي جبينَ دفاترٍ وجعلتُ من نَقْش المِدادِ خطابي
ما عاقني خجلي عن العلْيا ولا بذلُ الخمارِ بلثمتي ونقابي
عن طيِّ مِضمار الرهانِ اذا اشتكتْ صعبَ السباق مطامحُ الركّابِ
بل صولتي في راحتي وتفرّسي في حُسن ما أسعى لغير مآبِ

ومما قالتهُ ترثي ابنتها وكان موتُها في رمضان :

طافت بشهر الصوم كاساتُ الردى سَحَرًا واكوابُ الدموع تدورُ
ومضى الذي اهوى وجرَّعني الأسى وغدتْ بقلبي جُذوةٌ وسعيرُ
ناهيك ما فعلتْ بماء حشاشتي نارٌ لها بين الضلوع زفيرُ
اني أليفُ الحزنِ حتى انني لو غاب عني ساعةً التأخيرُ
قد كنتُ لا ارضى التباعدَ برهةً كيف التصبُّر والبعادُ دهورُ
ابكيكِ حتى نلتقي في جنّةٍ برياضِ خُلْدٍ زيّنتها الحُورُ
هذا النعيمُ بهِ الأحبّةُ تلتقي لا عيشَ إلّا عيشُهُ المبرورُ
والله لا السلوانُ والدنيا ما غرّدت فوقَ الغصونِ طيورُ

ولعائشة تيمور قصائد مختلفة في الاوصاف والاخلاق والغزل والمديح وانما اخذت في كلّ ذلك أخذ كتبة زمانها فلم تعالج المواضيع المبتكرة . وكذلك نثرُها في نتائج الاحوال لا يخلو من التصنع في نظم سجعاتهِ . هذا فضلًا عما يحتويهِ من التخيُّلات والاقاصيص المصنوعة التي قصدت بها ترويح الافكار وتلهية الاحداث .

وفي هذه الحقبة ذاتها فقدتْ مصر قوماً من مشاهير اطبّائها الذين كانوا أغنوا الطبَّ الوطني بمؤلفاتهم بعد ان تخرّجوا على اطبّاء نطاسيّين من الاوربيين . منهم المرحوم محمد

باشا الدري﴾ و ﴿احمد بك حمدي الجرّاح﴾ وقد اتقن كلاهما علم الطبّ في باريس. وقد ألّف الاوّل «تذكار الطبيب» وألّف مطوّلًا في الجراحة وكتب تاريخ الأسرة الخديويّة. كانت وفاتهُ في مطلع القرن العشرين. وصنّف الثاني في اعمال الجراحة ونشر جريدة طبيّة دعاها المنتخب. كانت وفاتهُ سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م). ومنهم الدكتور ﴿محمّد بك بدر﴾ تخرّج في فنّ الطبّ في انكلترّة وهو مؤلّف كتاب «علم الشفاء والمادّة الطبيّة وكتاب شرح الادوية الجديدة وكتاب الصحّة التامّة. توفي سنة ١٩٠٢. وكان محمّد بك بدر اشتغل في المانية بالفلسفة الاسلاميّة ودرس هناك اللغات الساميّة وباشر بتاريخ فلاسفة الاسلام ومؤلفاتهم منذ ظهور الاسلام الى اليوم ولا نعلم أنّه نشر بالطبع. وهو الذي نشر كتاب ابي منصور عبد القادر البغدادي «الفرق بين الفرق»

ومنهم درسوا الطبّ في المانية ﴿حسن باشا محمود﴾ لهُ مصنّفات عديدة في الامراض العصريّة كحمّى الدنج والهيضة وخصّ بدرسهِ ادواء وطنهِ كالدمّل المصري والطاعون الساري ومن تآليفهِ الحسنة كتابهُ الخلاصة الطبيّة في الامراض الباطنيّة. وتفقه ايضاً في اوربّا غير هؤلاء مثل ﴿عبد الرحمن بك الهراوي﴾ صاحب تآليف في الفيسيولوجية توفي سنة ١٩٠٦. و﴿الدكتور سليمان نجاتي﴾ الذي تخصّص بمعالجة الامراض العقليّة وألّف كتاب «اسلوب الطبيب في فنّ المجاذيب». كان وفاتهُ سنة ١٩٠٧

واشتهر في العلوم الفلكيّة ﴿اسماعيل باشا الفلكي﴾ الذي درس الرصد في مرصد باريس وادار في مصر المرصد الفلكيّ وكان ينشر تقاويمَ ارصادهِ الفلكيّة الرسميّة في اللغتين العربيّة والافرنسيّة. ومن تآليفهِ: «الآيات الباهرة في النجوم الزاهرة» توفي سنة ١٩٠١

فترى انّ العلوم العصريّة كانت مدينةً خصوصاً لاوربّة حيث تخرّج فيها المصريون ثمّ نشروها في وطنهم إمّا بالتدريس في القصر العينيّ وإمّا بالمزاولة والتأليف فكانت سبب نهضةٍ علميّة معتبرة تتمتّع اليوم مصر بثمرتها

أدباء الاسلام في الشام والعراق

وبينما كان المصريّون يحاولون كسر اغلال التقليد القديم الذي كان يضايقهم في

الكتابة ويحول بينهم وبين الرقي المصري. كان اخوانهم في الشام يجاهدون للحصول على حرية كافية ليتزعوا عنهم ضغط نير الاتراك فيطلقوا العنان لاقلامهم للبحث في المسائل الاجتماعية والاصلاح السياسي. وفي مقدمتهم :

﴿عبد الرحمان الكواكبي﴾ ولد في حلب سنة ١٢٦٥هـ(١٨٤٩م) من اسرة آل الكواكبي القديمة التي اليها تُنسب في الشهباء المدرسة الكواكبية. وفيها تلقى العلوم اللسانية والشرعية وبعض العلوم الحديثة ثم أنِس بالكتابة فحرّر عدة جرائد كالفرات والشهباء والاعتدال وخدم الدولة متقلباً في عدة مناصب علمية وادارية وحقوقية الّا انّ ما طُبع عليه من الإباء والنخوة ودقة النظر وحبّ الانتقاد في العصر الحميدي حمل اعداءهُ الى الوشاية بهِ الى المراجع العليا فزُجّ بالسجن وجُرّد من املاكهِ. ثمّ خرج سائحاً الى البلاد وطاف جانباً من افريقية وجزيرة العرب حتى توغّل في صحاريها وبلغ اليمن ثمّ رحل الى الهند وسكن آخراً في مصر وفيها توفي سنة ١٩٠٣. ومن آثارهِ ما يثبت لهُ سعة اطّلاعهِ على تاريخ الشرق ولاسيما تاريخ الممالك العثمانية فعرف ادواءها وحاول علاجها كالافغاني. ومما ألّفهُ في ذلك كتابهُ «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد» وكتاب «امّ القرى» نظر فيهِ الشيخ محمد عبده. وكان الكواكبي مع انفتهِ من الاستبداد رقيق الجانب عطوفاً على الضعفاء والمساكين

﴿محمد رشيد الدنا﴾ وقد اسفت بيروت في اوائل القرن العشرين على فقدها لهذا الكاتب الخليع في السنة ١٩٠٢ (١٣٢٠هـ) وهو احد تلامذة المعلّم بطرس البستاني في مدرستهِ الوطنية. خدم الحكومة التركية عدة سنين ثمّ استقال من مناصبها ليخدم وطنهُ بالتحرير فانشأ جريدة بيروت سنة ١٨٨٦ وادارها الى سنة وفاتهِ وكان معتدل الطريقة في سياستهِ فأمن نكبات الدهر. وكان يرتشد بآراء شقيقهِ الاكبر السديدة السيد عبد القادر وصارت الجريدة بيروت من بعدهِ في عهدة اخيهِ محمد امين

نضيف الى أدباء المسلمين في الشام ﴿السيد ابراهيم الطباطبائي﴾ من مشاهير ادباء العراق قضى نحبهُ سنة ١٩١٣هـ (١٩٠١م) في النجف وفيها كان مولدهُ سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) كان إمام النهضة اللغوية في وطنهِ بين صدور الشيعة. ولهُ ديوان شعر طُبع في صيداء تلوح فيه الاساليب البدوية القديمة وكان مُغرى بغريب اللغة

وترى ذلك في معظم اشعاره . وقسم كبير من قصائده في الغزليات . ومن حسن قوله ابيات ذكر فيها الاحباب وايام الانس :

أخيَّ هل راجعٌ ليلٌ فينظمنا ... بشطِّ دجلةَ نظمُ العقدِ اخوانا

أحبابَنا ان نحنُ فيكم وسائلُنا ... فحسبُنا كلُّ شيءٍ بعدكم هانا

ان فرَّق الدهرُ ما بيني وبينكمُ ... فقد صحبتكمُ دهرًا وأزمانا

تركتُ في النُّجَف الاهلَ لصحبتكم ... صحبًا وأهلاً واوطانًا وجيرانا

عوَّضتموني عن اهلي وعن وطني ... بالأهل أهلاً وبالأوطان اوطانا

ومن حكمه :

ما كلُّ من صَحِبَ الاخوانَ جرَّبهم ... لا يُعرَفُ الخِلُّ إلَّا بالتجاريبِ

وقال في محاسن الشعر :

للشعرِ حُسنانِ لا تَفدوهما جهةٌ ... حسنٌ بمعنًى وحسنٌ بالاساليبِ

(البقية)

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

٦ اتحاد بطاركة السريان وبطاركة الاقباط ومراسلاتهم

ظلَّت البطريركية الاسكندرية وشقيقتها البطريركيَّة الانطاكيَّة في اوَّل امرهما محافظتَين على عهودهما للبطريركية الرومانيَّة مقرَّتين بفضل منشئها مار بطرس الهامة مطيعتَين لخلفائه في الكرسي الروماني حتى ظهور البدعة المنوفستيَّة في اواسط القرن الخامس وقد صرَّح الاحبار الرومانيون برفعة شأن هذين الكرسيين المجيدين فكتب